أبو حنيفة النعمان

اسمه ونسبه ومولده:

هو فقيه الملة، وإمام العصر، العلامة، المتكلم، النحرير، الحجة، عالم العراق، الإمام الأعظم.

النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي، الكوفي، أبو حنيفة، مولى بني تيم الله بن ثعلبة.

يقال: إنه من أبناء الفرس.

ولد: سنة ثمانين، في حياة صغار الصحابة.

ورأى: أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة[1].

قال ابن كثير: وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة، فالله أعلم[2].

طلبه للعلم:

يتحدَّث أبو حنيفة عن طلبه للعلم فيقول: كنت أنظر في الكلام، حتى بلغت فيه مبلغاً يُشار إليّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سُليمان، فجاءتني امرأة يوماً، فقالت: رجل له امرأة أمة، أراد أن يُطلقها للسنة، كيف يُطلقها؟

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٣٩٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٢٤٦.

فلم أدر ما أقول، فأمرتها تسأل حماداً، ثم ترجع فتخبرني.

فسألت حماداً، فقال: يُطلقها وهي طاهرة من الحيض والجماع تطليقة، ثم يتركها حتى تحيض حيضين، فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج.

فرجعت، فأخبرتني، فقلت: لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي، وجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله، فأحفظ قوله، ثم يعيدها من الغد، فأحفظ ويخطئ أصحابه.

فقال: لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة، فصحبته عشر سنين. ثم إني نازعتني نفسي لطلب الرياسة، فأحببت أن أعتزله، وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يوماً بالعشي وعزمي أن أفعل، فلما دخلت المسجد ورأيته لم تطب نفسي أن أعتزله، فجئت فجلست معه، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له، قد مات بالبصرة، وترك مالاً وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليَّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين، ثم قدم، فعرضت عليه المسائل، وكانت نحواً من ستين مسألة، فوافقني في أربعين، وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي أن لا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات.

وروي عن أبي حنيفة أنه قال: قدمت البصرة، فظننت أني لا أُسأل عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي أن لا أفارق حماداً حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة.

يقول أبو حنيفة: ما صليت صلاة مُذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً، أو علمته علماً.

قال إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان: غاب أبي غيبة في سفر له، ثم قدم، فقلت له: يا أبة، إلى أي شيء كنتَ أشْوَق؟

قال: وأنا أرى أنه يقول: إلى ابني.

فقال: إلى أبي حنيفة، ولو أمكنني أن لا أرفع طرفي عنه فعلت.

قال أبو حنيفة: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقال: يا أبا حنيفة، عمَّن أخذت العلم؟

قال: قلت عن حماد، عن إبراهيم، عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس.

فقال أبو جعفر: بخٍ بخٍ، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة عن الطيبين المباركين، صلوات الله عليهم.

وعن الربيع بن يونس، يقول: دخل أبو حنيفة يوماً على المنصور، وعنده عيسى بن موسى، فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا اليوم.

فقال له: يا نعمان، عمَّن أخذت العلم؟

قال: عن أصحاب عمر عن عمر، وعن أصحاب عليٍّ عن عليّ، وعن أصحاب عبد الله عن عبد الله، وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه.

قال: لقد استوثقت لنفسك.

وروي عن أبي حنيفة، أنه قال: رأيت رُؤيا فأفزعتني، رأيت كأني أنبش قبر النبي ﷺ، فأتيت البصرة، فأمرت رجلاً أن يسأل محمد بن سيرين، فسأله، فقال: هذا رجل ينبش أخبار رسول الله ﷺ.

وفي رواية أنه قال: صاحب هذه الرؤيا يثور علماً لم يسبقه إليه أحدٌ قَبله.

قال هشام: فنظر أبو حنيفة، وتكلم حينئذ، والله تعالى أعلم[١].

قصة موضوعة شنَّع عليها الذهبي ذُكرت عن أبي حنيفة قبل أن يطلب العلم:

قال أبو حنيفة: لما أردت طلب العلم، جعلت أتخير العلوم، وأسأل عن عواقبها.

فقيل: تعلم القرآن.

فقلت: إذا حفظته فما يكون آخره؟

قالوا: تجلس في المسجد، فيقرأ عليك الصبيان والأحداث، ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك، أو مساويك، فتذهب رئاستك.

قلت: من طلب العلم للرئاسة قد يفكر في هذا، وإلا فقد ثبت قول المصطفى صلوات الله عليه: «**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**».

يا سبحان الله! وهل محل أفضل من المسجد؟ وهل نشر العلم يقارب تعليم القرآن؟ كلا والله، وهل طلبه خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب؟!

قال الذهبي: وأحسب هذه الحكاية موضوعة، ففي إسنادها من ليس بثقة.

تتمة الحكاية: قال: قلت: فإني سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني.

قالوا: إذا كبرت وضعفت، حدثت، واجتمع عليك هؤلاء الأحداث

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٢٦.

والصبيان، ثم لم تأمن أن تغلط، فيرموك بالكذب، فيصير عاراً عليك في عقبك.

فقلت: لا حاجة لي في هذا.

قلت ـ أي الذهبي ـ: الآن كما جزمت بأنها حكاية مختلقة، فإن الإمام أبا حنيفة طلب الحديث، وأكثر منه في سنة مئة وبعدها، ولم يكن إذ ذاك يسمع الحديث الصبيان، بل هذا اصطلاح وجد بعد ثلاثمئة سنة، بل كان يطلبه كبار العلماء.

ثم قال: قلت: أتعلم النحو. فقلت: إذا حفظت النحو والعربية، ما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعد معلماً، فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة. قلت: وهذا لا عاقبة له.

قلت: فإن نظرت في الشعر، فلم يكن أحد أشعر مني؟ قالوا: تمدح هذا فيهب لك، أو يخلع عليك، وإن حرمك هجوته.

قلت: لا حاجة فيه.

قلت: فإن نظرت في الكلام، ما يكون آخر أمره؟

قالوا: لا يسلم من نظر في الكلام من مشنعات الكلام، فيرمى بالزندقة، فيقتل، أو يسلم مذموماً.

قلت ـ الذهبي ـ: قاتل الله من وضع هذه الخرافة، وهل كان في ذلك الوقت وجد علم الكلام؟!! قال: قلت: فإن تعلمت الفقه؟ قالوا: تسأل، وتفتي الناس، وتطلب للقضاء، وإن كنت شاباً. قلت: ليس في العلوم شيء أنفع من هذا، فلزمت الفقه، وتعلمته[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٦/ ٣٩٧.

صفاته الخَلقية:

كان أبو حنيفة ربعة من الرجال، ليس بالقصير ولا بالطويل، وكان أحسن الناس منطقاً، وأحلاهم نغمة، وأنبههم على ما يريده.

قال عمر بن حماد بن أبي حنيفة، إنَّ أبا حنيفة كان طوالاً، تعلوه سمرة، وكان حسن الهيئة، كثير التعطر، يعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله قبل أن نراه[١].

اهتمامه بهيئته ومنظره:

لم يكن أبو حنيفة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يفهم الزهد كما يصوره بعض الجهلة من المسلمين، وهو لبس المرقع من الثياب، والإعراض عن الطيبات وعمَّا أحل الله، بل إنَّ الزهد الحقيقي هو أكل الحلال، وأن يكون ما في يد الله أوثق مما في يدك.

يقول النضر بن محمد: كان أبو حنيفة جميل الوجه سري الثوب عطراً، أتيته في حاجة وعلي كساء قومسي[٢]، فأمر بإسراع بغلته وقال: أعطني كساءك وخذ كسائي، ففعلت. فلما رجع قال لي: يا نضر، أخجلتني بكسائك. قلت: وما أنكرت منه؟ قال: هو غليظ. قال النضر: وكنت اشتريته بخمسة دنانير وأنا به معجب، ثم رأيته مرة وعليه كساء قومته بثلاثين ديناراً[٣].

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٢٥.

(٢) قومس: بالضم، ثم السكون، وكسر الميم، وسين مهملة، تعريب كومس: وهي كورة كبيرة واسعة، بها مدن وقرى ومزارع فى ذيل جبل طبرستان، قصبتها دامغان، بين الريّ ونيسابور. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٣/ ١١٣٥.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٨.

وروى أنه رأى على بعض جُلسائه ثياباً رثة، فأمره فجلس حتى تفرق الناس، وبقي وحده، فقال له: ارفع المصلى، وخذ ما تحته. فرفع الرجل المصلى وكان تحته ألف درهم. فقال له: خذ هذه الدراهم فغير بها من حالك. فقال الرجل: إني موسر، وأنا في نعمة، ولست أحتاج إليها. فقال له: أما بلغك الحديث: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»، فينبغي لك أن تغير حالك، حتى لا يغتم صديقك[١].

أهم صفاته:

العلم:

لقد أدرك الإمام أن أهم عوامل بناء النفس: طلب العلم المقرب إلى الله جل وعلا، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى في تبليغه؛ لأن العبادة بلا علم توقع في الانحراف، وما وقع المبتدعة فيما وقعوا فيه إلا عن جهل غالباً، ولأن العلم مادة الدعوة إلى الله جل وعلا، والدعوة إلى الله بلا علم قد تضر ولا تنفع، وقد يصاحبها الانحراف والضلال.

كما أن العلم طريق الجنة ولا شك، قال ذلك الصادق المصدوق ﷺ، كذلك فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وأهل السماوات والأرض ـ حتى الحيتان في جوف البحر ـ يصلون على معلم الناس الخير.

كذلك النضارة والوضاءة في الدنيا والآخرة، فتجد وجوه طلبة العلم المخلصين عليها النور وعليها الوضاءة في الدنيا، يقول النبي ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها؛ فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع**»[٢].

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٣٤.

(٢) سنن الترمذي، ٥/ ٣٤.

فالعلم أحلى وأغلى ما له اسْتَمَعتْ أُذْنٌ وأعربَ عنه ناطق بفم.
العلم أشرف مطلوب وطالبُه لله أكرم من يمشي على قدم
فقَدِّس العلم واعرف قدر حرمته في القول والفعل والآدابَ فالتزم
يا طالب العلم لا تبغي به بدلاً فقد ظفرت ورب اللَّوح والقلم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له لو يعلم المرء قدر العلم لم ينمِ
والنيةَ اجعل لوجه الله خالصة إن البناء بدون الأصل لم يقمِ.

انطلق أبو حنيفة يزاحم طلاب العلم بالرُكَب، ويحضر مجالس العلماء حتى غدا وحيد عصره، وفريد دهره.

قال عبد الله بن المبارك: لولا أن الله أغاثني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس.

وقال الشافعي عن مالك: رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

وقال الشافعي: من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، ومن أراد السيرة فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك، ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

وقال عبد الله بن داود الخريبي: ينبغي للناس أن يدعو في صلاتهم لأبي حنيفة؛ لحفظه الفقه والسنن عليهم.

وقال سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك: كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه.

وقال أبو نعيم: كان صاحب غوص في المسائل.

وقال مكي بن إبراهيم: كان أعلم أهل الأرض[١].

وروي عن عبد الله بن المبارك، أنه قال: قدمت الشام على الأوزاعي، فرأيته ببيروت، فقال لي: يا خراساني، من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة، يُكنى أبا حنيفة؟!

فرجعت إلى بيتي، فأقبلت على كتب أبي حنيفة، فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام، فجئته يوم الثالث وهو مؤذِّن مسجدهم وإمامهم، والكتاب في يدي، فقال لي: أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته، فنظر في مسألة منها وقعت عليها: قال النعمان بن ثابت: فما زال قائماً بعدما أذن حتى قرأ صدراً من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كمه، ثم قام وصلى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها. فقال: يا خراساني، من النعمان بن ثابت هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق. فقال: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه. قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه.

وعن مسعر بن كدام، أنه قال: ما أحسد أحداً بالكوفة إلا رجلين، أبا حنيفة في فقهه، والحسن بن صالح في زهده.

وعن أبي غسان، أنه قال: سمعت إسرائيل، يقول: كان نعم الرجل النعمان، ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه، وأشد فحصه عنه، وأعلمه بما فيه من الفقه.

وقال علي بن المديني: سمعت عبد الرزاق، يقول: كنت عند معمر، فأتاه ابن المبارك، فسمعنا معمراً يقول: ما أعرف رجلاً يُحسن التكلم في الفقه، أو يسعه أن يقيس ويشرح لمخلوق النجاة في الفقه، أحسن معرفة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/٤١٨.

من أبي حنيفة، ولا أشفق على نفسه، أن يدخل في دين الله شيئاً من الشك من أبي حنيفة.

وعن عبد الله بن أبي جعفر الرازي قال: سمعت أبي يقول: ما رأيت أحداً أفقه من أبي حنيفة، وما رأيت أورع من أبي حنيفة.

وقال أبو يوسف: ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث، ومواضع النكت التي فيه من الفقه، من أبي حنيفة.

وقال: ما خالفت أبا حنيفة في شيء قط، فتدبرته، إلا رأيت مَذهبه الذي ذهب إليه أنجا في الآخرة، وكنت ربما ملت إلى الحديث، وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني.

وقال: إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبوي، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو لحمّاد مع أبوي.

وقال الأعمش يوماً لأبي يوسف: كيف ترك صاحبك أبو حنيفة قول عبد الله: عتق الأمة طلاقها؟

قال: تركه لحديثك الذي حدثته عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة: أن بريرة حين أعتقت خُيرت.

قال الأعمش: إن أبا حنيفة لفطن، وأعجبه ما أخذ به أبو حنيفة[1].

عبادته:

كان أبو حنيفة صاحب همة عالية، وعزيمة شديدة في العبادة، وعلى قدْر كبير من الصلاة والقيام والخشوع والنحيب، وكثيراً ما كان يصلي الفجر بوضوء العشاء.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٢٧، وانظر: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للغيتابي، ٥/ ١٥٦، تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٨.

روى الخطيب البغدادي بسنده عن أسد بن عمرو، أن أبا حنيفة كان يصلي في الليل، ويقرأ القرآن في كل ليلة، ويبكي حتى يرحمه جيرانه، ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وأنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة[١].

وقال يحيى القطان: جالسنا ـ والله ـ أبا حنيفة، وسمعنا منه، وكنت والله إذا نظرت إليه عرفت في وجهه أنه يتقي الله ﷻ.

وعن الحسن بن محمد الليثي أنه كان يقول: قدِمت الكوفة، فسألت عن أعبد أهلها، فدُفِعْتُ إلى أبي حنيفة، ثم قدمتها وأنا شيخ، فسألت عن أفقه أهلها، فدفعت إلى أبي حنيفة.

وقال سفيان بن عُيينة: ما قدم رجل مكة في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة.

وقال أبو مطيع: كنت بمكة، فما دخلتُ الطواف في ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفة وسفيان في الطواف.

وقال يحيى بن أيوب الزاهد: كان أبو حنيفة لا ينام الليل.

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يُسمى الوتد؛ لكثرة صلاته.

وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، عن أبيه قال: لما مات أبي سألنا الحسن بن عُمارة أن يتولى غسله، ففعل فلما غسله، قال: رحمك الله، وغفر لك، لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك بالليل أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك، وفضحت القراء.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٤١٨.

وعن أبي يوسف، قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمع رجلاً يقول لرجل: هذا أبو حنيفة، لا ينام الليل.

فقال أبو حنيفة: والله، لا يُتحدَّث عني بما لا أفعل.

فكان يُحيي الليل صلاة، ودعاء، وتضرعاً.

ومسعر بن كدام، قال: أتيت أبا حنيفة في مسجده، فرأيته يُصلي الغداة، ثم يجلس للناس في العلم، إلى أن يُصلي الظهر، ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء، فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل، متى يتفرغ للعبادة؟ لأتعاهدنه الليلة. قال: فتعاهدته، فلما هدأ الناس، خرج من المسجد، فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر، ودخل منزله، ولبس ثيابه، وخرج إلى المسجد، صلى الغداة، فجلس الناس إلى الظهر، ثم إلى العصر، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء.

فقلت في نفسي إن الرجل قد تنشط الليلة الماضية للعبادة، لأتعاهدنه الليلة، فتعاهدته، فلما هدأ الناس خرج فانتصب للصلاة، ففعل كفعله في الليلة الأولى، فلما أصبح خرج إلى الصلاة، وفعل كفعله في يوميه، حتى إذا صلى العشاء، قلت في نفسي: إن الرجل لينشط الليلة والليلة، لأتعاهدنه. ففعل كفعله في ليلته، فلما أصبح جلس كذلك، فقلت في نفسي: لألزمنه إلى أن أموت أو يموت. قال: فلازمته في مسجده.

قال ابن أبي معاذ: فبلغني أن مسعراً مات في مسجد أبي حنيفة في سجوده، رحمهما الله.

وكان خارجة بن مصعب، يقول: ختم القرآن في الكعبة أربعةٌ من

الأئمة: عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، وأبو حنيفة، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وكان أبو حنيفة ربما ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة.

وحدث أحمد بن يونس، قال: سمعت زائدة يقول: صليت مع أبي حنيفة في المسجد عشاء الآخرة، وخرج الناس، ولم يعلم أني في المسجد، وأردت أن أسأله عن مسألة، من حيث لا يراني أحد.

قال: فقام فقرأ، وقد افتتح الصلاة، حتى إذا بلغ إلى هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ فأقمت في المسجد أنتظر فراغه، فلم يزل يرددها حتى أذَّن المؤذن لصلاة الفجر.

وروى عن يزيد بن الكميت، وكان من خيار الناس، أنه كان يقول: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا عليُّ بن الحسين المؤذن ليلة العشاء الآخرة ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة، وخرج الناس، نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يُفكر، ويتنفس، فقلت: أقوم، لا يشتغل قلبه. فلما خرجت تركت القنديل، ولم يكن إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر، وهو قائم، قد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيراً خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شراً شراً، أجر النعمان عبدك من النار، وما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك. قال: فأذنت، فإذا القنديل يزهو وهو قائم، فلما دخلت، قال لي: تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت: قد أذنت لصلاة الغداة. قال: اكتم عليَّ ما رأيت. وركع ركعتي الفجر، وجلس حتى أقمت الصلاة، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

وقام رضي الله عنه ليلة بهذه الآية: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ يرددها، ويبكي، ويتضرع.

قال مسعر بن كدام: دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلي فاستحليت قراءته فقرأ سبعاً، فقلت يركع، ثم قرأ الثلث، ثم قرأ النصف، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة، فنظرت فإذا هو أبو حنيفة[1].

ورعه:

كان أبو حنيفة مضرب المثل في الورع والتقى، خاصة إذ تعلق الأمر بالمال، فإن معدن الرجل لا يُعرف إلا إذا امتُحن بالدرهم والدينار، فقد يُظهر الإنسان من أخلاقه وتبسمه وحسن معاملته، ولكن كثيراً من الناس من يلين ويميل أمام سحر المال.

أما أبو حنيفة فكان رحمه الله ـ كما قال ابن المبارك ـ أورع أهل الكوفة.

وكان شريكاً لحفص بن عبد الرحمن، وكان أبو حنيفة يُجهز إليه الأمتعة، وهو يبيع، فبعث إليه في رقعة بمتاع، وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيباً، فإذا بعته، فبيِّن العيب للمشتري. فباع حفص المتاع، ونسى أن يبيِّن، ولم يعلم ممن باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله.

وعن أبي عبد الرحمن المسعودي، عن أبيه، قال: ما رأيت أحسن أمانة من أبي حنيفة، مات يوم مات، وعنده ودائع بخمسين ألفاً، ما ضاع منها ولا درهم واحد.

ونُقل أن أبا جعفر المنصور أجازه بثلاثين ألف درهم في دفعات،

---

(١) تاريخ بغداد، ١٥/ ٤٨٨، الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٣١، تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٩.

فقال: يا أمير المؤمنين، إني ببغداد غريب، وعندي للناس ودائع، وليس لها عندي موضع، فاجعلها في بيت المال.

فأجابه المنصور إلى ذلك، فدفع إليه الثلاثين ألفاً، ووضعها في بيت المال، فلما مات أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته. فقال المنصور: خدَعنا أبو حنيفة.

وكان رحمه الله، قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله في عرض كلامه إلا تصدق بدرهم، فحلف فتصدق به، ثم جعل على نفسه إن حلف أن يتصدق بدينار، فكان إذا حلف صادقاً في عرض كلامه تصدق بدينار.

وقال وكيع: كان ـ والله ـ أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان الله في قلبه جليلاً كبيراً عظيماً، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل، رحمه الله تعالى، ورضي عنه رضى الأبرار، فلقد كان منهم.

وقال ابن المبارك: ما رأيت أحداً أورع من أبي حنيفة، وقد جرب بالسياط والأموال[1].

جوده وسماحته وأمانته:

بلغ من جود أبي حنيفة وشعوره بغيره: أنه إذا أنفق على عياله نفقة تصدَّق بمثلها، وإذا اكتسى ثوباً جديداً أكسى بقدر ثمنه الشيوخ العلماء.

وكان إذا وضع بين يديه الطعام أخذ منه فوضعه على الخبز، حتى يأخذ منه بقدر ضعف ما كان يأكل ثم يعطيه لإنسان فقير، فإن كان في الدار من عياله إنسان يحتاج إليه، دفعه إليه، وإلا أعطاه مسكيناً.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٣٢، وانظر مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للغيتابي، ٥/ ١٥٧، تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٩.

عن قيس بن الربيع، قال: كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً فقيهاً محسوداً، وكان كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، كثير الإفضال على إخوانه.

وكان من عقلاء الرجال، فكان يبعث بالبضائع إلى بغداد، يشتري بها الأمتعة، ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم، وكسوتهم، وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول: أنفقوا في حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله؛ فإني ما أعطيتكم من مالي شيئاً، ولكن من فضل الله عليَّ فيكم، وهذه أرباح بضاعتكم؛ فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي فما في رزق الله حول لغيره.

وحدث حجر بن عبد الجبار، قال: ما أرى الناس أكرم مجالسة من أبي حنيفة، ولا أكثر إكراماً لأصحابه.

وقال حفص بن حمزة القرشي: كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة وصله، وإن مرض عاده.

وكان أكرم الناس مجالسة.

وروى أن امرأة جاءت إلى أبي حنيفة تطلب منه ثوب خز، فأخرج لها ثوباً. فقالت له: إني امرأة ضعيفة، وإنها أمانة، فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك. فقال: خُذيه بأربعة دراهم. فقالت: لا تسخر بي، وأنا امرأة عجوز كبيرة. فقال: إني اشتريت ثوبين، فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم، فبقي هذا يقوم عليَّ بأربعة دراهم.

وجاء إليه رجل، فقال: يا أبا حنيفة، قد احتجت إلى ثوب خز. فقال: ما لونه؟

قال: كذا، وكذا. فقال له: اصبر حتى يقع، وآخذه لك، إن شاء الله تعالى.

فما دارت الجمعة حتى وقع، فمر به الرجل، فقال: قد وقعت حاجتك، وأخرج إليه الثوب، فأعجبه، فقال: يا أبا حنيفة، كم أزن؟ قال: درهماً. فقال الرجل: يا أبا حنيفة ما كنت أظنك تهزأ. قال: ما هزأت، إني اشتريت ثوبين بعشرين ديناراً ودرهم، وإني بعت أحدهما بعشرين ديناراً، وبقي هذا بدرهم، وما كنت لأربح على صديق[١].

مروءته، ورعايته حق الجوار:

روى أنه كان له جار بالكوفة إسكاف[٢]، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل معه لحماً فطبخه أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غنى بصوت، وهو يقول:

أضاعوني وأي فتىً أضاعُوا ... ليَوم كريهةٍ وسدَادِ ثَغْرِ

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت، حتى يأخذه النوم.

وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد صوته، فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس ـ الشرطة ـ منذ ليال، وهو محبوس.

فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير. فقال: ائذنوا له، وأقبلوا به راكباً، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط. ففعل، فلم يزل الأمير يوسع في مجلسه، وقال: ما حاجتك؟ قال: لي جار إسكاف، أخذه العسس منذ ليال، ويأمر الأمير بتخليته. فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا. فأمر بتخليتهم

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٣٤.

(٢) الإسكاف: هو الصانع. تاج العروس، ٢٣/ ٤٥٠.

أجمعين. فركب أبو حنيفة، والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه، فقال: يا فتى، هل أضعناك؟ فقال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار، ورعايته. وتاب الرجل، ولم يعد إلى ما كان عليه، ببركة الإمام[١].

أبو حنيفة ذكاء وفطنة:

كان أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ بالغ الحجة، قد رزقه الله قوة في ذكائه، وفطنة في تفكيره؛ فكثيراً ما كان يحاور الملاحدة، ويقارع الفلاسفة، حتى بلغ ببعض المغالين من المسلمين أنفسهم اتهام الإمام بالإلحاد والزندقة.

روى الخطيب في تاريخه: أنه كان بالكوفة رجل يقول: إن عُثمان بن عفان كان يهودياً. فأتاه أبو حنيفة، فقال: أتيتك خاطباً لابنتك. قال: لمن؟ قال: لرجل شريف، غني، حافظ لكتاب الله، سخي، يقوم الليل في ركعة، كثير البكاء من خوف الله. قال: في دون هذا مقنع يا أبا حنيفة. قال: إلا أن فيه خصلة. قال: وما هي؟ قال: يهودي. قال: سُبحان الله، تأمرني أن أزوج ابنتي من يهودي. قال: لا تفعل؟ قال: لا. قال: فالنبي ﷺ زوج ابنته من يهودي!. قال: استغفر الله، فإني تائب إلى الله.

يقول ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة، وما سمعته يغتاب عدواً له قط. قال: هو والله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها.

وكان عليُّ بن عاصم، يقول: لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٣٥.

وقال خارجة بن مصعب: لقيت ألفاً من العلماء فوجدت العاقل فيهم أربعة، فذكر أبا حنيفة في الثلاثة أو الأربعة.

وقال أيضاً: من لا يرى المسح على الخفين، أو يقع في أبي حنيفة، فهو ناقص العقل.

وقال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة، وقد شوى لهم فصيل سمين، فاشتهوا أن يأكلوه بخل، فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل، فتحيروا فرأيت أبا حنيفة قد حفر في الرمل حفرة، وبسط عليها السفرة، وسكب الخل على ذلك الموضع، فأكلوا الشواء بالخل. فقالوا له: تحسن كل شيء!!. قال: عليكم بالشكر، هذا شيء ألهمته فضلاً من الله عليكم.

وعن أبي يوسف، قال: دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور، وكان يُعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين، هذا أبو حنيفة يُخالف جدك، كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف اليمين استثنى ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء، إلا متصلاً باليمين. فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جُندك بيعة. قال: وكيف؟ قال: يحلفون لكم، ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون، فبطل أيمانهم. قال: فضحك المنصور، وقال: يا ربيع، لا تعرض لأبي حنيفة. فلما خرج أبو حنيفة، قال: أردت أن تشيط بدمي؟ قال: لا، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك، وخلصت نفسي.

وكان أبو العباس الطوسي سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على أبي جعفر المنصور يوماً، وكثر الناس عنده. فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة. فأقبل عليه وسأله أمام الخليفة فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا، فيأمره بضرب عنق

الرجل، لا يدري هو، أيسعه أن يضرب؟ فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال: بالحق. قال: أنفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه. ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته[١].

وعن مغيث بن بديل، قال: دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء، فامتنع. فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح. قال: كذبت. قال: فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح، فإن كنت كاذباً، فلا أصلح، وإن كنت صادقاً، فقد أخبرتكم أني لا أصلح فحبسه[٢].

وعن زفر بن الهديل، قال: اجتمع أبو حنيفة، وابن أبي ليلى، وجماعة من العلماء، في وليمة لقوم، فأتوهم بطيب في مدهن فضة، فأبوا أن يستعملوه؛ لحال المُدهن ـ لأنه من فضة ـ فأخذه أبو حنيفة، وسلته بأصبعه، وجعله في كفه، ثم تطيب به. وقال لهم: ألم تعلموا أن أنس بن مالك أتى بخبيص في جام فضة، فقلبه على رغيف، ثم أكله. فتعجبوا من فطنته وعقله[٣].

فراسته في تلميذه أبي يوسف:

يقول أبو يوسف: توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار ـ خياط ـ فكنت أمرّ على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة: إن هذا

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٣٦.
(٢) سير الأعلام للذهبي، ٦/ ٤٠٢، الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٤٨.
(٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٤٨.

صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي، وإنك قد أفسدته عليَّ. فقال لها: اسكتي يا رعناء، ها هو ذا يتعلم العلم وسيأكل الفالوذج[١] بدهن الفستق في صحون الفيروزج[٢]. فقالت له: إنك شيخ قد خرفت.

قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء ـ وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لُقِّب قاضي القضاة، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا، لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة ـ قال أبو يوسف: فبينا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتي بفالوذج في صحن فيروزج. فقال لي: كلْ من هذا، فإنه لا يصنع لنا في كل وقت. وقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالوذج. قال: فتبسمت. فقال: ما لك تتبسم؟ فقلت: لا شيء، أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرنّي. فقصصت عليه القصة فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة. ثم قال: رحم الله أبا حنيفة، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه.

وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف: إنه أعلم أصحابه[٣].

وذكر أنّ الرشيد وأمّ جعفر اختلفا في اللوزينج[٤] والفالوذج، أو الخبيص[٥]، ـ أيهما أطيب ـ وقال الرشيد لأبي يوسف ما تقول في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب، فقال: يا أمير المؤمنين، لا أقضي بين غائبين، فأمر بإحضارهما فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة، ومن هذا لقمة، حتى

---

(١) الفالوذج: لباب القمح بالعسل. العين، ٨/ ٣١٧.

(٢) الفيروزج: حجر كريم غير شفاف مَعْرُوف بلونه الْأَزْرَق كلون السَّمَاء أَو أميل إِلَى الخضرة. المعجم الوسيط، ٢/ ٧٠٨.

(٣) البداية والنهاية، ١٠/ ١٩٤.

(٤) اللوزينج: نوع من الْحَلْوَى شبه القطائف يُؤْدم بدهن اللوز. المعجم الوسيط، ٢/ ٨٤٦.

(٥) الخبيص: المعمول من التمر والسمن. القاموس المحيط، ١/ ١١٦.

نصف جاميهما. ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت خصمين أجدل منهما، كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجّته. فقال له الرشيد: احكم. قال: اصطلح الخصمان واعفياني من الحكم. فضحك الرشيد، وأمر له بألف دينار، وبلغ زبيدة الخبر، فأمرت له بألف دينار إلا ديناراً[1].

بره بوالدته وأشياخه:

كان أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، كثير البر بوالدته، والقيام بواجب حقها، وإدخال السرور عليها، وعدم المخالفة لها.

حدث حجر بن عبد الجبار الحضرمي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: كان في مسجدنا قاض يُقال له زرعة، ينسب مسجدنا إليه، وهو مسجد الحضرميين، فأرادت أم أبي حنيفة أن تستفتي في شيء، فأفتاها أبو حنيفة، فلم تقبل، وقالت: ما أقبل إلا ما يقوله زرعة القاضي. فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة، فقال: هذه أمي تستفتيك في كذا وكذا. فقال: أنت أعلم مني وأفقه، فأفتها أنت. فقال أبو حنيفة: قد أفتيتها بكذا وكذا. فقال زرعة: القول كما قال أبو حنيفة. فرضيت وانصرفت.

وفي رواية، أن زرعة قال لها: أفتيك ومعك فقيه الكوفة! فقال أبو حنيفة: أفتها بكذا وكذا. فأفتاها فرضيت.

وفي بره بوالديه وتعظيمه لشيخه حماد يقول بعضهم:

نُعمَانُ كان أبرَّ الناسِ كُلِّهمُ ... بوَالدَيْه وبالأُسْتاذ حَمَّادِ
مَا مَدَّ رِجْليْهِ يوماً نحْو منزِله ... ودُونَه سِكَكٌ سَبْعٌ كأطْوَادِ

(١) أخبار الظراف والمتماجنين، ١/ ٨٠، التذكرة الحمدونية، ٩/ ١٢٩.

روى أن أبا حنيفة قال: ما مددت رجلي نحو دار أستاذي حماد؛ إجلالاً له. وكان بين داره وداره سبع سِكك[١].

مكانته عند العلماء وما قيل فيه:

قال الأعمش: إن أبا حنيفة لفطن، وأعجبه ما أخذ به أبو حنيفة.

وعن أبي بكر عياش، قال: مات عمر بن سعيد أخو سفيان، فأتيناه نعزيه، فإذا المجلس غاص بأهله، وفيهم عبد الله بن إدريس، إذا أقبل أبو حنيفة في جماعة معه، فلما رآه سفيان تحرك من مجلسه، ثم قام فاعتنقه، وأجلسه في موضعه، وقعد بين يديه. قال أبو بكر: فاغتظت عليه. قال ابن إدريس: ألا ترى وَيحك؟

فجلسنا حتى تفرق الناس، فقلت لعبد الله بن إدريس: لا تقم حتى نعلم ما عنده في هذا. فقلت: يا أبا عبد الله، رأيتك اليوم فعلت شيئاً أنكرته وأنكره أصحابنا عليك.

قال: ما هو؟ قلت: جاء أبو حنيفة، فقمت إليه، وأجلسته في مجلسك، وصنعت به صنيعاً بليغاً، وهذا عند أصحابنا منكر. فقال: وما أنكرت من ذلك! هذا رجل من العلم بمكان، فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه. فأفحمني فلم يكن عندي جواب.

وعن محمد بن الفضل الزاهد البلخي قال: سمعت أبا مطيع الحكم بن عبد الله، يقول: ما رأيت صاحب حديث أفقه من سفيان الثوري، وكان أبو حنيفة أفقه منه.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٣٦.

وعن الحسن بن علي، أنه قال: سمعت يزيد بن هارون، وقد سأله إنسان، فقال: يا أبا خالد، من أفقه من رأيت؟ قال: أبو حنيفة.

قال الحسن: ولقد قلت لأبي عاصم ـ يعني النبيل ـ أبو حنيفة أفقه أو سفيان؟ قال: عبد أبي حنيفة أفقه من سفيان.

وسئل يزيد بن هارون، مرة أخرى، من أفقه أبو حنيفة أو سفيان؟ قال: سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه[١].

وقال أبو عاصم النبيل، وقد سئل أيضاً عنهما فقال: غلام من غلمان أبي حنيفة أفقه من سفيان[٢].

وقال سجادة: دخلت على يزيد بن هارون، أنا وأبو مسلم المُسلمي، وهو نازل ببغداد على المنصور بن المهدي، فصعدنا إلى غرفة هو فيها، فقال له أبو مسلم: ما تقول يا أبا خالد في أبي حنيفة، والنظر في كتبه؟ قال: انظروا فيها إن كنتم تريدون أن تفقهوا؛ فإني ما رأيت أحداً من الفقهاء يكره النظر في قوله، ولقد احتال الثوري في «كتاب الرهن» حتى نسخه.

وروى عن عبد الله بن المبارك، أنه قال: رأيت أعبد الناس؛ ورأيت أورع الناس، ورأيت أعلم الناس، ورأيت أفقه الناس، فأما أعبد الناس فعبد العزيز بن أبي رواد، وأما أورع الناس فالفضيل بن عياض، وأما أعلم الناس فسفيان الثوري، وأما أفقه الناس فأبو حنيفة، ما رأيت في الفقه مثله.

وعنه أيضاً، أنه قال: إن كان الأثر قد عُرف واحتيج إلى الرأي، فرأي

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٩، الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٢٩، وانظر: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للغيتابي، ٥/ ١٥٧.

(٢) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للغيتابي، ٥/ ١٥٧، تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٩، الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٢٩.

مالك، وسفيان، وأبي حنيفة. وأبو حنيفة أحسنهم، وأدقهم فطنة، وأغوصهم على الفقه، وهو أفقه الثلاثة.

وقال أبو عاصم النبيل، وقد سئل: أيهما أفقه؛ سفيان أو أبو حنيفة؟ فقال: إنما يقاس الشيء إلى شكله، أبو حنيفة فقيه تام الفقه، وسفيان رجل متفقه.

وقال ابن المبارك: رأيت مسعراً في حلقة أبي حنيفة، جالساً بين يديه، يسأله ويستفيد منه، وما رأيت أحداً قط في الفقه أحسن من أبي حنيفة.

وعن إبراهيم بن هاشم، عن أبي داود، أنه قال: إذا أردت الآثار، أو قال: الحديث، وأحسبه قال: والورع، فسفيان، وإذا أردت تلك الدقائق، فأبو حنيفة.

وقال محمد بن بشر: كنت أختلف إلى أبي حنيفة، وإلى سفيان، فآتي أبا حنيفة فيقول لي: من أين جئت؟ فأقول: من عند سفيان. فيقول: لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله. فآتى سفيان، فيقول لي: من أين جئت؟ فأقول: من عند أبي حنيفة. فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض.

وقال أبو نعيم: كان أبو حنيفة صاحب غوص في المسائل.

وعن أبي عبد الله الكاتب، قال: سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول: يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلواتهم[1]. قال: وذكر حفظه عليهم السنن والفقه.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٩، الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٢٩، وانظر: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للغيتابي، ٥/ ١٥٧.

وقال شداد بن حكيم: ما رأيت أعلم من أبي حنيفة.

وقال مكي بن إبراهيم: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه.

وقال النضر بن شميل: كان الناس نياماً عن الفقه، حتى أيقظهم أبو حنيفة؛ فيما فتقه وبينه ولخصه.

وحدث أحمد بن علي بن سعيد القاضي، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: سمعت يحيى بن سعيد القطان، يقول: لا نكذب الله، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

قال يحيى بن معين: وكان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين، ويختار من قولهم قوله، ويتبع رأيه من بين أصحابه.

وقال الإمام الشافعي: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.

وقال أيضاً: ما رأيت أفقه من أبي حنيفة، يعني ما علمت.

وقال: كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

وعن حرملة، أنه قال: سمعت الشافعي، يقول: الناس عيال على هؤلاء الخمسة.

وعن الحسن بن عثمان، أنه كان يقول: وجدت العلم بالعراق والحجاز ثلاثة، علم أبي حنيفة، وتفسير الكلبي، ومغازي محمد بن إسحاق.

وعن أحمد بن عطية، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: القراءة عندي قراءة حَمزة، والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركت الناس.

وعن أبي علي الجبائي المُعتزلي المشهور، أنه قال: الحديث لأحمد بن حنبل، والفقه لأصحاب أبي حنيفة، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة.

وقال جعفر بن ربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سُئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دوياً، وجهارة بالكلام.

وقال إبراهيم بن عكرمة المخزومي: ما رأيت أحداً أورع، ولا أفقه من أبي حنيفة[1].

وقال حبان بن موسى: سئل ابن المبارك: أمالك أفقه أم أبو حنيفة؟ قال: أبو حنيفة.

وقال الخريبي: ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل.

وقال يحيى القطان: لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

وقال علي بن عاصم: لو وزن علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم.

وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه أدق من الشعر لا يعيبه إلا جاهل.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٢٩، وانظر: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للغيتابي، ٥/ ١٥٧.

وقال الحميدي: سمعت ابن عيينة يقول: شيئان ما ظننتهما يجاوزان قنطرة الكوفة: قراءة حمزة، وفقه أبي حنيفة، وقد بلغا الآفاق.

وعن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يحسن هذا النعمان بن ثابت الخزاز، وأظنه بورك له في علمه.

وقال جرير: قال لي مغيرة: جالس أبا حنيفة تفقه فإن إبراهيم النخعي لو كان حياً لجالسه[1].

أبو حنيفة وفتنته في القضاء:

قيل: إن ابن هبيرة حين اضطرب الحبل وظهرت الفتنة بالعراق جمع فقهاء أهل العراق وقضاته، منهم ابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن أبي هند، وعدداً منهم، فولى كل واحد منهم صدراً من عمله.

وأرسل إلى أبي حنيفة فأراد أن يكون الخاتم في يده، فامتنع أبو حنيفة عليه؛ وحلف ابن هبيرة إن لم يفعل ما أراد ضربه كل جمعة سياطاً حتى يقتله.

قال: فأخرج والفقهاء جلوس، فمالوا به إلى إخوانه فوقف عليهم فقالوا له: ننشدك الله أن تتلف نفسك، وتغم إخوانك، وتعرض لهذا الجبار، وإنا قد كرهنا هذا الأمر كما كرهت، ولكن نشتري الدين بعضه ببعض.

فقال أبو حنيفة: لا والله لا آثرت على الله شيئاً، ولا أدخل في عمل، لو سألني أن أعد له أساطين المسجد والله ما فعلت، فكيف ولو ترى أن نكتب في دم رجل لعله غير مستحق فأختم أنا على كتابه ونأخذ المال من غير حقه فينفقه على معاصي الله وأعينه على حفظه.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٩.

فقال ابن أبي ليلى: دعوا صاحبكم وما يحمل على نفسه، فهو والله المصيب ونحن المخطئون؛ يا أخي لو وطَّنَّا لأنفسنا على ما وطنت نفسك عليه كان خيراً لنا.

فحبسه صاحب الشرطة عنده جمعتين ولم يضربه، ثم أخرجه واعتذر إليه وقال: إن هذا الأمير لا يختار عليه، فإما أن تدخل فيما أمرك به أو أمضي فيك أمره؛ قال: من تقلد شيئاً كان عليه؛ فضربه. فقال ابن هبيرة: ألا ناصح لهذا المحبوس يستأجله فنؤجله لينظر في أمره؟

فجيء إلى أبي حنيفة فأخبر، فلما كانت الجمعة الثانية أخرج، فقال: إن أثر السياط طري في جنبي، ولي إخوان فدعوني أستشيرهم وأنظر فيما يدعونني إليه.

فاغتنم ابن هبيرة قوله وأمر بتخلية سبيله.

فركب دوابه وهرب إلى مكة، فلم يزل مقيماً بها حتى ظهرت الهاشمية وملكوا.

وروي أن ابن هبيرة أراده على القضاء وحلف إن هو لم يقبل ليضربنه بالسياط على رأسه، فقيل لأبي حنيفة، فقال: ضربه لي بالسياط في الدنيا أسهل علي من مقامع الحديد في الآخرة؛ والله لا فعلت ولو قتلني.

فحكي قوله لابن هبيرة فقال: بلغ من قدره ما يعارض يميني بيمينه؟ فدعا به فقال له شفاهاً، وحلف له إن لم يل ليضربنه على رأسه حتى يموت.

فقال له أبو حنيفة: هي ميتة واحدة، قال: فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه. فقال أبو حنيفة: اذكر مقامك بين يدي الله فإنه أذل من مقامي بين يديك، ولا تهددني فإني أقول: لا إله إلا الله، والله سائلك عني حيث لا يقبل منك جواب. فأومأ إلى الجلاد أن أمسك.

وبات أبو حنيفة في السجن، فأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب. قال: فقال ابن هبيرة: إني رأيت النبي ﷺ في النوم وهو يقول: أما تخاف الله تضرب رجلاً من أمتي بلا جرم وتهدده؟ فأرسل إليه فاستخرجه واستحله[١].

مواقفه في صدق نصحه لولاة الأمر:

دخل الحسن بن قحطبة على أبي حنيفة فقال: أنا ممن عمل عملاً لا يحل، فهل من توبة؟ قال: نعم. قال: ما هي؟ قال: أن يعلم الله منك نية صادقة أنك نادم على ما فعلت، وأخرى إن خيرت بين أن تقتل مسلماً أو تعمل اخترت قتلك على عمله، وتجعل لله على نفسك عهداً ألا تعود في شيء مما كنت فيه؛ فإن وفيت قبلت توبتك إن شاء الله.

قال: قد فعلت وعاهدت الله أني لا أعود. قال: فدعاه أبو جعفر وأمره بالسير إليهما، فجاء إلى أبي حنيفة فقال: إني أمرت بكذا وكذا، قال: أما إنك إن وفيت غفر لك ما مضى وإن عدت أخذت بما مضى وبما يستأنف. فدخل إلى أبي جعفر وتهيأ للقتل، واستعفاه، واعتل عليه، فلم يقبل منه. فقال: لست أقتل هذين الرجلين، وحسبي ما مضى.

قال: فغضب أبو جعفر، فوثب أخوه حميد بن قحطبة عليه وقال: يا أمير المؤمنين، إنا قد أنكرناه منذ سنة، وقلنا قد اختلط، وأنا أسير. فسار حميد وقال أبو جعفر: تعاهدوا الحسن وانظروا إلى من يدخل، ومن يجالس، ومن الذي يفسد هذا الرجل علينا.

فأخبروه أنه يدخل على أبي حنيفة ويجالسه، فدعا بسم وسقى أبا حنيفة

---

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٣/ ١٧٠.

وسقى الحسن، فمات أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وعولج الحسن فبرأ[١].

وقال عبيد الله بن عمرو الرقي، قال: كلم ابن هبيرة أبا حنيفة أن يلي قضاء الكوفة فأبى عليه فضربه مئة سوط وعشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله[٢].

محنته مع الخليفة:

قال الربيع بن يونس: جمع المنصور مالك بن أنس وابن أبي ذئب وأبا حنيفة فقال: كيف ترون هذا الأمر الذي أعطاني الله من أمر هذه الأمة؟ هل أنا لذلك أهل؟

قال: فسكت القوم؛ فقال لابن أبي ذئب: ما تقول في هذا الأمر الذي قلدني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أمر أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فقال: إن ملك الدنيا يؤتيه الله من يشاء وملك الآخرة يؤتيه الله من طلبه في الله ووفقه، وإن التوفيق منك إذا أطعته قريب وإذا عصيته بعيد، وإن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى عليها والعون لمن وليها، وأنت وأعوانك خارجون من التوفيق، عالون على الخلق، فإن سألت الله السلامة، وتقربت إليه بالأعمال الزاكية، كان في ذلك نجاتك وإلا فأنت المطلوب. قال: فكنت أنا ومالك بن أنس نجمع ثيابنا أن يترشش علينا من دمه.

قال: فقال لأبي حنيفة: ما تقول؟

قال: المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب، إن أنت نصحت نفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا، وإنما أردت أن تعلم العامة أنا نقول

---

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٣/ ١٦٩.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر، ١٠/ ٤٠٢.

فيك ما تهواه مخافة سيفك وحبسك، ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك نفسان من أهل التقوى، والخلافة تكون عن إجماع المؤمنين ومشورة، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمسك عن الحكم ستة أشهر حتى أتته بيعة أهل اليمن.

قال: وقال لمالك: ما تقول؟ قال: لو لم يرك الله أهلاً لذلك ما قدر لك ملك هذه الأمة وأزال عنهم من بعد من بينهم، وقرب هذا الأمر إلى أهل بيت نبيه، والله لقد دحر الله الباطل، وأنجى أهل بيت نبيه، أعانك الله على ما ولاك، وألهمك الشكر على ما خولك، وأعانك على ما استرعاك. قال: فأمرهم فانصرفوا.

وقال لي المنصور: خذ معك ثلاث بدر واتبع القوم، فإن أخذها مالك كلها فادفعها إليه، وإن أخذ ابن أبي ذئب وأبو حنيفة منها شيئاً فجئني برؤوسهما.

قال: فأتيت ابن أبي ذئب فقال: ما أرضى هذا المال له، فكيف آخذه لنفسي؟ وقال أبو حنيفة: ما أنفع له إن كان يعطي من يرحم أن يرحم نفسه ممن يعلم، والله لو ضربت عنقي على أن أمس منها شيئاً ما مسسته؛ فأتيت مالكاً فأخذها كلها. فأتيت المنصور فأعلمته وبهذه الصيانة حقنوا دماءهم[1].

منهجه رحمه الله:

عن يحيى بن الضريس قال: شهدت سفيان وأتاه رجل، فقال: ما تنقم على أبي حنيفة؟ قال: وماله، قال: سمعته يقول: آخذ بكتاب الله، فإن لم أجد، فبسنة رسول الله، فإن لم أجد، فبقول الصحابة، آخذ بقول من شئت

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٣/ ١٦٩.

منهم ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين وعطاء فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا[١]

وروى: نوح الجامع، عن أبي حنيفة، أنه قال: ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة، اخترنا، وما كان من غير ذلك، فهم رجال ونحن رجال[٢].

وعن الحسن بن صالح قال: كان النعمان بن ثابت فهماً عالماً متثبتاً فى علمه، إذا صح عنده الخبر عن رسول الله ﷺ لم يعد إلى غيره[٣].

وقال أبو يوسف: قال أبو جنيفة: علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه.

قال أبو محمد بن حزم: جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة: أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس والرأي[٤].

حكمته في نصحه تلامذته:

عن الفضيل بن غانم قال: كان أبو يوسف مريضاً شديد المرض، فعاده أبو حنيفة مراراً، فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلاً فاسترجع وقال: كنت أؤملك المسلمين بعدي، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير، ثم رزق الله أبا يوسف العافية، وأخبر بقول أبي حنيفة فيه، فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلساً في الفقه، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلساً، وأنه بلغه

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر، ١٠/ ٤٠٣.
(٢) سير الأعلام للذهبي، ٦/ ٤٠١.
(٣) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار للغيتابي، ٥/ ١٥٦.
(٤) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ٩٨.

كلامك فيه، فدعا رجلاً كان له عنده قدرٌ فقال: صر إلى مجلسه فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصّار ـ خياط ـ ثوباً ليقصِّره بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء وأنكره، ثم إن رب الثوب رجع إليه، فدفع له الثوب مقصوراً، أله أجرة؟ فإن قال له أجرة، فقل أخطأت، وإن قال لا أجرة له فقل أخطأت.

فصار إليه فسأله فقال أبو يوسف له الأجرة. فقال: أخطأت. فنظر ساعة ثم قال: لا أجرة له. فقال: أخطأت.

فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصار. قال: أجل. قال: سبحان الله، من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات.

فقال: يا أبا حنيفة، علمني. فقال: إن قصره بعد غصبه فلا أجرة له، لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة، لأنه قصره لصاحبه، ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه[1].

علم يُنتَفَعُ به يملأ طباق الأرض:

سبب انتشار مذهبه:

ـ أخذ أبو حنيفة عن أربعة آلاف شيخ من التابعين وأفتى في زمن التابعين.

كما أن الله قيَّض لأبي حنيفة تلاميذ كانوا في الوقت نفسه فطاحل من العلماء وقد دوَّنوا آراءه وفتاويه واجتهاداته بخلاف باقي الأئمة في عصره.

فأبو يوسف دوَّن فقه أبي حنيفة في الكتب وكذا فعل محمد بن الحسن الذي دوَّن كل فقهه والاجتهادات الأخرى حتى التي تراجع عنها، وهناك كتب تُسمّى كتب «ظاهر الرواية» كلها للإمام محمد.

---

(١) المنتظم لابن الجوزي، ٣/ ٤٢.

وقام كلٌّ من أبي يوسف ومحمد بجمع الأحاديث التي يرويها الإمام في فتاويه كمستندات لفقهه مثل كتاب الآثار وكتب أخرى وأحاديث كثيرة موزَّعة في هذه المدونات.

ولقد كانت طريقة أبي حنيفة بالتعليم مبنيةً على السؤال والإقناع برأي، ثم قوله: ولكني أرى غير هذا ويعلم أصحابه الفتوى وطريقة التفكير.

ـ كما أن أبا حنيفة هو أول من رتب مسائل الفقه حسب أبوابها من طهارة وصلاة... دوَّنها الإمام أبو يوسف ـ في غالب الأحيان ـ في سجلات حتى بلغت مسائله المدونة خمسمئة ألف مسالة.

ـ انتقل تلامذته الفحول البالغون ثلاث مئة وسبعون شيخاً إلى بلادهم خاصة بلاد الأفغان وبخارى والهند... فشرَّق فقه الإمام أبي حنيفة وغرَّب وشمأل وجنَّب حتى ليعد علي بن سلطان القاري المتوفى سنة (١٠١٤) هجري ثلثي المسلمين في العالم على مذهب الإمام أبي حنيفة.

ـ شاء الله أن يكون أبو يوسف قاضياً وأن يتولى القضاء لثلاث من الخلفاء المهدي والهادي وهارون الرشيد وسُمّيَ بعد ذلك قاضي القضاة، وكان وهو حنفي يقضي بمذهب أبي حنيفة، وكذلك كان أغلب القضاة الذين كان ينصِّبهم والمدونات التي كانت تُدَوَّن في دار الخلافة كانت تدوَّن على مذهب أبي حنيفة، كل هذا وغيره جعل فقه الإمام أبي حنيفة ينتشر أكثر من فقه من سبقه أمثال الأوزاعي وجعفر الصادق وغيرهم.

أهم مؤلفاته:

تميَّز عصر أبي حنيفة بوجود الفرق المبتدعة المختلفة مثل: المعتزلة والمرجئة والقدرية والجهمية أو المعطلة.

وهذه الفرق مع قلة أتباعها يبثّون الشُّبَه وتسمَّت كل فرقة بِاسمٍ، فقام علماء المسلمين يردون على هؤلاء المبتدعة.

وكان لا بد من أن يسمّوا أنفسهم بِاسم حتى يتبين قول هؤلاء المبتدعة من قول عامة المسلمين، فسمّوا عامة المسلمين أهل السُنَّة والجماعة وهي ما كان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة والتابعين، وهم السواد الأعظم من الأمَّة.

وبظهور الأئمة الأربعة، اشرأبَّت أعناق الناس إليهم يأخذون من فقههم وينهلون من علومهم وكانت لهم عبقرية نادرة في الاستنباط مما دعا الناس إلى الإقبال عليهم والأخذ منهم، فجمع هؤلاء الأئمة الناس على منهج أهل السنّة والجماعة فيما يتعلق بالعقيدة وحذَّروا الناس من البدع ودافعوا عن الإسلام دفاعاً قوياً.

وألَّف أبو حنيفة كتاب «الفقه الأكبر» بيَّن فيه عقيدة المسلمين ورد فيه على المبتدعة.

ونُقِلَ أنَّ له مسنداً ولكن المحقق أنَّ هذا المسند من جمع أبي يوسف عن أبي حنيفة.

وصية جامعة لتلميذه أبي يوسف (الوصية الذهبية):

كنت سأختصرها ولكنَّ عِظَمَ فائدتها في كل عبارة منعني من ذلك، هذه الوصية قد تضمنت كثيراً من لطائف الحكماء، ومحاسن الكلم، وفيها لمن تدبرها نفع كبير، وأدب غزير.

نقلها الشيخ الفاضل زين بن نجيم، في آخر كتابه «الأشباه والنظائر»، ومنها نقلنا.

قال رضي الله عنه: يا يعقوب، وقر السلطان، وعظم منزلته، وإياك والكذب

بين يديه، والدخول عليه في كل وقت ما لم يدعك لحاجة؛ فإنك إذا أكثرت الاختلاف عليه تهاون بك، وصغرت منزلتك عنده، فكن منه كما أنت من النار، تنتفع منها، وتتباعد عنها؛ فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه.

وإياك وكثرة الكلام بين يديه، فإنه يأخذ عليك ما قلته، ليرى من نفسه بين يدي حاشيته أنه أعلم منك وأنه يخطئك، فتصغر في أعين قومه.

ولتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك وقدر غيرك، ولا تدخل عليه وعنده من أهل العلم من لا تعرفه؛ فإنك إن كنت أدون حالاً منه لعلك ترتفع عليه فيضرك، وإن كنت أعلم منه لعلك تنحط عنه فتسقط بذلك من عين السلطان. وإذا عرض عليك شيئاً من أعماله، فلا تقبل منه إلا بعد أن تعلم أنه يرضاك، ويرضى مذهبك في العلم والقضايا؛ كيلا تحتاج إلى ارتكاب مذهب غيرك في الحكومات.

ولا تواصل أولياء السلطان وحاشيته، بل تقرب إليه فقط، وتباعد عن حاشيته؛ ليكون مجدك وجاهك باقياً، ولا تتكلم بين يدي العامة إلا بما تُسأل عنه.

وإياك والكلام في العامة والتجار إلا بما يرجع إلى العلم؛ كيلا يوقف على حبك ورغبتك في المال؛ فإنهم يسيئون الظن بك، ويعتقدون ميلك إلى أخذ الرشوة منهم.

ولا تضحك، ولا تبتسم بين يدي العامة.

ولا تكثر الخروج إلى الأسواق.

ولا تكلم المراهقين فإنهم فتنة، ولا بأس أن تكلم الأطفال، وتمسح رؤوسهم.

ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ والعامة، فإنك إن قدمتهم ازدري بعلمك، وإن أخرتهم ازدري بك من حيث إنهم أسن منك، قال النبي صلى الله عليك وسلم: «**من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا، فليس منا**».

ولا تقعد على قوارع الطريق، فإذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد، ولا تأكل في الأسواق والمساجد.

ولا تشرب من السقايات، ولا من أيدي السقائين، ولا تقعد على الحوانيت.

ولا تلبس الديباج، والحلي، وأنواع الإبريسم؛ فإن ذلك يقضي إلى الرعونة.

ولا تكثر الكلام في بيتك مع امرأتك في الفراش، إلا وقت حاجتك إليها بقدر ذلك، ولا تكثر لمسها، ولا تقربها إلا بذكر الله تعالى، ولا تتكلم بأمر نساء الغير بين يديها ولا بأمر الجواري، فإنها تنبسط إليك في كلامك، ولعلك إذا تكلمت عن غيرها تكلمت عن الرجال الأجانب.

واطلب العلم أولاً، ثم اجمع المال من الحلال، ثم تزوج، فإنك إن طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم، ودعاك المال إلى طلب الجواري والغلمان، وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم، فيضيع وقتك، ويجتمع عليك الولد وتكثر عيالك، فتحتاج إلى القيام بمصالحهم وترك العلم.

واشتغل بالعلم في عنفوان شبابك، ووقت فراغ قلبك وخاطرك، ثم اشتغل بالمال ليجتمع عندك؛ فإن كثرة الولد والعيال يشوش البال، فإذا جمعت المال فتزوج.

وعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة، والنصيحة لجميع الخاصة والعامة.

ولا تستخف بالناس، ووقر نفسك ووقرهم، ولا تكثر معاشرتهم إلا بعد أن يعاشروك، وقابل معاشرتهم بذكر المسائل، فإنه إن كان من أهله اشتغل بالعلم، وإن لم يكن من أهله أحبك.

وإياك أن تكلم العامة بأمر الدين في الكلام، فإنهم قوم يقلدونك، فيشتغلون بذلك.

ومن جاءك يستفتيك في المسائل، فلا تجب إلا عن سؤاله، ولا تضم إليه غيره؛ فإنه يشوش عليه جواب سؤاله.

وإن بقيت عشر سنين بغير كتب ولا قوة فلا تعرض عن العلم، فإنك إن أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكاً.

وأقبل على مُتفقهيك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابناً وولداً، يزيدهم رغبة في العلم.

ومن ناقشك من العامة والسوقة، فلا تُناقشه؛ فإنه يذهب ماء وجهك.

ولا تحتشم من أحدٍ عند ذكر الحق، وإن كان سُلطاناً.

ولا ترض لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك، وتعاطاها؛ فإن العامة إذا لم يروا منك الإقبال عليها بأكثر مما يفعلون، اعتقدوا فيك قلة الرغبة، واعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه.

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم، فلا تتخذ لنفسك، بل كن كواحد من أهله؛ ليعلموا أنك لا تقصد جاههم، وإلا يخرجون عليك بأجمعهم، ويطعنون في مذهبك، وتصير مطعوناً عندهم بلا فائدة.

وإن استفتوك في المسائل، فلا تناقشهم في المناظرة والمطارحات،

ولا تذكر لهم شيئاً إلا عن دليل واضح، ولا تطعن في أساتذتهم، فإنهم يطعنون فيك.

وكن من الناس على حذر، وكن لله تعالى في سرك كما أنت في علانيتك، ولا يصلح أمر العلم إلا بعد أن يجعل سره كعلانيته.

وإذا ولاك السلطان عملاً، فلا تقبل ذلك منه، إلا بعد أن تعلم أنه إنما يوليك ذلك لعلمك.

وإياك أن تتكلم في مجلس النظر على خوف؛ فإن ذلك يورث الخلل في الألفاظ، والكلل في اللسان.

وإياك أن تكثر الضحك، فإنه يميت القلب.

ولا تمش إلا على طمأنينة، ولا تكن عجولاً في الأمور.

ومن دعاك من خلفك فلا تجبه، فإن البهائم تُنادى من خلف.

وإذا تكلمت فلا تكثر صياحك، ولا ترفع صوتك واتخذ لنفسك السكون وقلة الحركة؛ كي يتحقق عند الناس ثباتك.

وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس؛ ليتعلموا ذلك منك.

واتخذ لنفسك ورداً خلف الصلوات، تقرأ فيه القرآن، وتذكر الله تعالى، وتشكره على ما أودعك من الصبر، وأولاك من النعم.

واتخذ أياماً معدودة من كل شهر تصوم فيها؛ ليقتدي غيرك بك.

وارقب نفسك، وحافظ على الغير؛ لتنتفع من دنياك وآخرتك بعلمك.

ولا تشتر بنفسك ولا تبع، بل اتخذ لك مُصلحاً يقوم بأشغالك، وتعتمد عليه في أمورك، ولا تطمئن إلى دنياك، وإلى ما أنت فيه، فإن الله تعالى سائلك عن جميع ذلك.

ولا تشتر الغلمان المرد.

ولا تظهر من نفسك التقرب إلى السلطان وإن قربك؛ فإنه ترفع إليه الحوائج، فإن قمت أهانك، وإن لم تقم أعابك، ولا تتبع الناس في خطاياهم، بل اتبعهم في صوابهم.

وإذا عرفت إنساناً بالشر فلا تذكره به، بل اطلب منه خيراً فأذكره به، إلا في باب الدين، فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس؛ كيلا يتبعوه ويحذروه، قال عليه الصلاة والسلام: «**اذكروا الفاجر بما فيه، حتى يحذره الناس**»، وإن كان ذا جاه ومنزلة، فاذكر ذلك، ولا تبال من جاهه؛ فإن الله تعالى معينك وناصرك وناصر الدين، فإذا فعلت ذلك مرة هابوك، ولم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الدين.

وإذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم، فاذكر ذلك مع طاعتك إياه؛ فإن يده أقوى من يدك، تقول له: أنا مطيع لك في الذي أنت فيه سلطان، ومُسلط علي، غير أني أذكر لك من سيرتك مالا يوافق العلم، فإذا فعلت ذلك مع السلطان مرة كفاك؛ لأنك إذا واظبت عليه، ودمت، لعلهم يمقتونك، فيكون قمعاً للدين، فإذا فعل ذلك مرة أخرى، فادخل عليه وحدك في داره، وانصحه في الدين، وناظره إن كان مبتدعاً، وإن كان سلطاناً، فاذكر له ما يحضرك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن قبل منك، وإلا فاسأل الله تعالى أن يحفظك منه، واذكر الموت، واستغفر للأستاذ، ومن أخذت عنهم العلم، وداوم على التلاوة، وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة.

واقبل من العامة ما يقصون عليك من رؤياهم للنبي ﷺ، ورؤيا الصالحين في المنازل، والمساجد، والمقابر.

ولا تجالس أحداً من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى الدين.

ولا تكثر اللعب والشتم.

وإذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد؛ كيلا تتقدم عليك العامة.

ولا تتخذ دارك في جوار السلطان.

وما رأيت على جارك فاستره عليه؛ فإنه أمانة، ولا تظهر أسرار الناس.

ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما يقربك إلى الله تعالى.

وإياك والبخل؛ فإنه تنتقص به المروءة.

ولا تك طماعاً، ولا كاذباً، ولا صاحب تخاليط، بل احفظ مروءتك في الأمور كلها.

والبس من الثياب البيض في الأحوال كلها.

وأظهر غنى القلب، مُظهراً في نفسك قلة الحرص، والرغبة في الدنيا، وأظهر من نفسك الغنى، ولا تظهر الفقر، وإن كنت فقيراً.

وكن ذا همة، فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته.

وإذا مشيت في الطريق فلا تلتفت يميناً ولا شمالاً، بل داوم النظر إلى الأرض.

وإذا دخلت الحمام، فلا تساوم الناس في أجرة الحمام، بل ارجح على ما تعطي العامة؛ لتظهر مروءتك بينهم، فيعظمونك.

ولا تسلم الأمتعة إلى الحائك وسائر الصناع، بل اتخذ لنفسك ثقة تفعل ذلك.

ولا تماكس بالحبات والدوانيق، ولا تزن بالدراهم، بل اعتمد على غيرك.

وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم؛ فذلك أحفظ لحاجتك.

وإياك أن تكلم المجانين، ومن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم، والذين يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس؛ فإنهم يطلبون تخجيلك، ولا يبالون منك وإن عرفوك على الحق.

وإذا دخلت على قوم كبار فلا ترتفع عليهم بعالم يرفعوك لئلا يلحق بك منهم أذية.

وإذا كنت في قوم فلا تتقدم عليهم في الصلاة، ما لم يقدموك على وجه التعظيم.

ولا تدخل الحمام وقت الظهيرة أو الغداة.

ولا تحضر مظالم السلاطين، إلا إذا عرفت أنك إذا قلت شيئاً ينزلون على قولك بالحق، فإنهم إن فعلوا مالا يحل وأنت عندهم ربما لا تملك منعتهم، ويظن الذين هناك أن ذلك حق؛ لسكوتك فيما بينهم وقت الإقدام عليه.

وإياك والغضب في مجلس العلم.

ولا تقص على العامة؛ فإن القاص لا بد له أن يكذب.

وإذا أردت اتخاذ مجلس لأحدٍ من أهل العلم، فاحضر بنفسك، واذكر فيه ما تعلمه؛ كيلا يغتر الناس بحضورك، فيظنون أنه على صفة من العلم، وليس هو على تلك الصفة، فإن كان يصلح للفتوى فاذكر منه ذلك، وإلا فلا، ولا ليدرس بين يديك، بل اترك أحداً من أصحابك؛ ليخبرك بكيفية كلامه، وكمية علمه.

وفوض أمر المناكح إلى خطيب ناحيتك، وكذا صلاة الجنائز والعيدين.

ولا تنسني من صالح دعائك.

واقبل هذه الموعظة مني، وإنما أوصيك لمصلحتك، ومصلحة المسلمين[١].

وفاته:

قيل: إن المنصور سقاه السم لقيامه مع إبراهيم فعلى هذا يكون قد حصل الشهادة وفاز بالسعادة.

قال أبو يوسف القاضي: كانت وفاته في شوال سنة خمسين ومئة.[٢]

ما قيل فيه من الشعر:

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفة

بأحكامٍ وآثار وفقه ... كآيات الزبور على الصحيفة

فما بالمشرقين له نظير ... ولا بالمغربين ولا بكوفة

فرحمة ربنا أبداً عليه ... مدى الأيام ما قرئت صحيفة[٣]

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي، ١/ ٥٢.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ٣/ ١٠٠.

(٣) ديوان الإمام الشافعي، ص١٢.